الحلول العلاجية لمشكلة الفقر .. رؤية إسلامية معاصرة

* أشرف عبد الرافع الدرفيلي

Abstract

The economic structure is the pillar of the nation, and the strength of her life, and the axis of progress or backwardness, and a pointer to achieve prosperity or hardship, and it rotates the wheel of life, and its occupies the nation's status and have their freedom and sovereignty in their decisions, and God bless Imam Mohammed Sharawi, who said that were not for our summit from the ax, our word of the head will not be. And Nursi was very aware of the importance of the economic side in his reform, the impact of this aspect in the process of advancement, so it has been designated a separate message called message of "the economy" and it talks about the economy and the conviction and their impact in the economic balance of supply and demand and rationalization consumer hand, controls moderation, then eaten the issue of extravagance and waste misdeeds severe dissipation of wealth and resources, and although he did not elaborate his concept idiomatic of modern economics, but he addressed the conscience of the Muslim mind and smooth manner of public and private understand, and look wider and deeper than the look economist, where he focused during his speech on the economic side on the link between the economy and the conviction and the pillars of faith and moral, economy and conviction of two performance thanks moral, and reverence for the divine mercy, and Hamad agents of God, guide unison with divine wisdom, and the reason for dictation of the landing of the pond, and a solid foundation to live decent, pride and perfection, which distracted the owner of the citizen of poverty and humiliation and begging and humiliation, and the waste and extravagance, they are the antithesis of the economy and the conviction, and Mnavean for all pillars of faith and moral.

We will rotate our research study and analysis of the importance of the economic aspect in the advancement of civilization and stability of the people and protect its security and freedom, and the preservation of its sovereignty and its policies, and to achieve this a practical reality be addressing the problem of poverty, which controls a shadow over the reality of a private Islamic world, public and humanitarian, and so from the perspective of the light of the Imam Badi messages Said Nursi time, and our review of the substantive and systematic philosophy in how to achieve economic advancement.

Keywords: Economic Advancement, Islamic Economy, Faith and Moral Values.

*الاستاذ المساعد، ومتخصص بدراسات العقيدة والفلسفة، بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

تمهيد:

إن البنيان الاقتصادي هو دعامة الأمة ، وقوام حياتها ، ومحور تقدمها أو تخلفها ، ومؤشر لتحقيق الرفاهية أو شظف العيش ، وعليه تدور عجلة الحياة ، وبه تحتل الأمة مكانتها وتملك حريتها وسيادتها في قراراتها، ورحم الله الإمام محمد متولي الشعراوي الذي قال : إن لم تكن لقمتنا من الفأس ، فلن تكون كلمتنا من الرأس.

والنورسي كان على وعي كبير بأهمية الجانب الاقتصادي في مشروعه الإصلاحي ، وتأثير هذا الجانب في عملية النهوض ، لذا خصص له رسالة مستقلة سماها برسالة " الاقتصاد " وفيها يتحدث عن الاقتصاد والقناعة وأثرهم في التوازن الاقتصادي من ناحية العرض والطلب والترشيد الاستهلاكي ، وضوابط الاعتدال ، ثم تناوله لقضية الإسراف والتبذير ومساوئهم الوخيمة في تبديد الثروة والموارد ، وعلى الرغم من أنه لم يفصل كلامه بالمفهوم الاصطلاحي لعلم الاقتصاد الحديث ، إلا أنه خاطب وجدان المسلم وعقله بأسلوب سلس يفهمه العامة والخاصة ، وبنظرة أوسع وأعمق من نظرة الاقتصاديين ، حيث أنه ركز أثناء حديثه في الجانب الاقتصادي على الربط بين الاقتصاد والقناعة والمرتكزات الإيمانية والأخلاقية ، فالاقتصاد والقناعة هما أداء شكر معنوي ، وتوقير للرحمة الإلهية ، وحمد لآلاء الله ، ودليل انسجام تام مع الحكمة الإلهية ، وسبب جازم لإنزال البركة ، وأساس متين للعيش الكريم والعزة والكمال ، الذي يصرف صاحبه عن مواطن الفقر والذلة والاستجداء والهوان ، أما التبذير والإسراف ، فهما نقيض الاقتصاد والقناعة ، ومنافيان لجميع المرتكزات الإيمانية والأخلاقية .

سوف يدور بحثنا بالدراسة والتحليل عن أهمية الجانب الاقتصادي في النهوض الحضاري واستقرار الشعوب وحماية أمنها وحريتها ، والحفاظ على سيادتها وسياستها، وتحقيق ذلك واقعاً عملياً يكون بمعالجة مشكلة الفقر التي تسيطر بظلالها على واقع العالم الإسلامي خاصة ، والإنساني عامة ، وذلك من منظور رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، واستعراضنا لفلسفته الموضوعية والمنهجية في كيفية تحقيق النهوض الاقتصادي.

وسوف يستعرض البحث بالتوضيح والتحليل ما يلي

تعريف الفقر في اللغة والاصطلاح (1):

الفَقْرُ : العَوَز والحاجة ، والجمع : مَفاقِرُ – على غير قياس – و الفَقْرُ الشَّقُّ والحَزُّ، والفَقْرُ: الهمُّ والحِرْص ، والجمع : فُقورٌ

يختلف مفهوم الفقر Poverty باختلاف البلدان والثقافات والأزمنة، ولا يوجد اتفاق دولي حول تعريف الفقر نظراً لتداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشكل ذلك التعريف وتؤثر عليه، إلا أن هناك اتفاق بوجود ارتباط بين الفقر والإشباع من الحاجات الأساسية،المادية أو غير المادية، وعليه فهناك اتفاق حول مفهوم الفقر على أنه: حالة من الحرمان المادي الذي يترجم بانخفاض استهلاك الغذاء، كماً ونوعا، وتدني الوضع الصحي والمستوى التعليمي والوضع السكني ، والحرمان من السلع المعمرة والأصول المادية الأخرى، وفقدان الضمانات لمواجهة الحالات الصعبة كالمرض والإعاقة والبطالة وغيرها، وللحرمان المادي انعكاسات تتمثل بأوجه أخرى للفقر كعدم الشعور بالأمان ،وضعف القدرة على اتخاذ القرارات، وممارسة حرية الاختيار، ومواجهة

الصدمات الخارجية والداخلية، وبمفهوم مبسط للفقر،يعتبر الفرد أو الأسرة يعيشان ضمن إطار الفقر ،إذا كان الدخل المتأتي له غير كافٍ للحصول على أدنى مستوى من الضروريات للمحافظة على نشاطات حياته وحيويتها.

للفقر العديد من التعريفات ،تُبعث من منطلقات إيديولوجية واقتصادية وثقافية, وهو بشكل عام لا يمثل ظاهرة في المجتمع ،بل يترجم من خلال ما في تنظيم هذا المجتمع.

والفقر ليس صفة ،بل هو حالة يمر بها الفرد تبعاً لمعايير محددة، فمثلاً :يعرف الفقر بمفهومه العام علي انه انخفاض مستوى المعيشة عن مستوى معين ضمن معايير اقتصادية واجتماعية.

وعُرف الفقر بشيء من التفصيل على : أنه الحالة الاقتصادية التي يفتقد فيها الفرد الدخل الكافي للحصول على المستويات الدنيا من الرعاية الصحية والغذاء والملبس والتعليم وكل ما يُعد من الاحتياجات الضرورية لتأمين مستوى لائق في الحياة.

وفي ضوء الشِّرْعة الدولية لحقوق الإنسان، يمكن تعريف الفقر بأنه : وضع إنساني قوامه الحرمان المستمر أو المزمن من الموارد، والإمكانات، والخيارات، والأمن، والقدرة على التمتع بمستوى معيشي لائق ،وكذلك من الحقوق المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأخرى .

أما أنواع الفقر:فقد حاولت العديد من الدراسات والبحوث أن تضع تصنيفات محددة لظاهرة الفقر، وقد اختلفت تلك التصنيفات، ومن أشهر تلك التصنيفات هو التصنيف على أساس مستوى الفقر الذي قسم الفقر إلى عدة مستويات ، وذلك لغرض قياسه كالفقر المطلق Absolute Poverty هو" الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان من خلال التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الأساسية المتمثلة بالغذاء، والمسكن، والملبس، والتعلم، والصحة، والنقل " والفقر المدقع Extreme Poverty وما يسمى بالفقر المزري Disruptive Poverty هو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان، عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الغذائية لتأمين عدد معين من السعرات الحرارية التي تمكنه من مواصلة حياته عند حدود معينة، والذي يقترب من الفقر المدقع وما يسمى بالفاقة Pauperism وقد أوردت بعض الدراسات أنواع أخرى للفقر،والتي صنفت حسب العوامل المسببة للفقر، إذ قسم الفقر إلى نوعين رئيسيين، هما : فقر التكوين ، وفقر التمكين، حيث يمثل النوع الأول مظاهر الفقر الناتجة بسبب المعوقات والصعوبات الواقعية أو الافتراضية، كالعوامل البيولوجية والفسيولوجية،والتي في مقدمتها المعوق البدني والعقلي والنفسي بأشكاله المختلفة،والتي تمثل قصوراً في القدرات الشخصية للأفراد،والعوق الاجتماعي – النفسي – ممثلاً في الأنوثة مقارنة بالذكورة، والشباب مقارنين بالأطفال وبكبار السن، والجماعات الفرعية مقارنة ببعضها،أو بالمجتمع السياسي – الدولة –.

أما النوع الثاني من الفقر،وهو فقر التمكين:والذي يعتبر فقر مؤسسي، يفصح عن نقص في قدرة مؤسسات المجتمع على تلبية احتياجات الناس أو تفعيل قدراتهم المتاحة أو الممكنة وحثهم على إستثمراها.

الاقتصاد في التشريع الإسلامي ومساهمته في إزالة أسباب الفقر: إن الاقتصاد بمفهومه الشامل ، هو من أثرى الجوانب في التشريع الإسلامي ، بل إن الإسلام هو أول تشريع سماوي للبشرية يضع أول نظرية

اقتصادية متكاملة ، لم يستطع – ولن يستطيع – أن يحيط بشمولها أي نظام اقتصادي آخر ، مراعياً في شموليته مطالب الإنسان الدنيوية والأخروية ، المادية والمعنوية ''وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ''(2) كما أنه يدعوا الفرد إلى التوازن في سلوكه الاقتصادي والاعتدال ''وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا''(3)

وعندما يقرر الإسلام منذ أربعة عشر قرناً أن العمل هو أساس النظام الاقتصادي،أو بلغة العصر والاقتصاد الحديث : "القيمة هي نتاج الجهد البشري ، أو هي ثمرة العمل" لا يعتبر العمل حرصاً على جمع المال في الحياة فحسب،بل هو أولاً أساس التقرب إلى الله،وتنفيذ لعملية الاستخلاف والتعمير المأمور بها في الأرض،لذلك قرنه القرآن دائماً بالإيمان،ونظم وقنن حقوق العامل وصاحب العمل،بل وحدد منهاج العمل والأعمال المباحة وغيرها ، وجعل السعي هو الوسيلة إلى الكسب ''فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ''(4) ''هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ''(5) وبسط بشمولية كاملة حقوق الملكية الفردية والعامة ومصادرها، ومنهاج الإسلام في المعاملات التجارية والاحتكار والتسعير ، والعقود بأوضاعها المختلفة : الآجلة ، والتقسيط ، والمضاربة ، والرهن ، والزكاة بأنواعها ، وعدالة توزيع الثروات "(6)

يمكننا تلخيص حلول الفقر في الإسلام مع ذكر الأدلة الشرعية من القران والسنة النبوية كما يلي (7):

1- ترسيخ الاعتقاد الصحيح عند الناس وتعليمهم بأن الرزق من الله، وأنه هو الرزاق، وأن كل ما يقدِّره الله من المصائب فلحكمٍ بالغة، وعلى المسلم الفقير الصبر على مصيبته، وبذل الجهد في رفع الفقر عن نفسه وأهله. قال تعالى:''إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ''(8) وقال تعالى''وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ''(9) وقال تعالى''أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ'' (10) وقال تعالى ''وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً'' (11) ومن شأن هذه التعاليم الربانية أن تصبِّر الإنسان على ما يصيبه من فقر، وأن يلجأ إلى الله وحده في طلب الرزق، وأن يرضى بقضاء الله، ويسعى بطلب الرزق.

عَنْ صُهَيْبٍ الرومي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" (12).

قال تعالى:''إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً''(13) قال ابن كثير: وقوله تعالى''إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ''إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض، الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيُغني من يشاء، ويُفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة ؛ ولهذا قال:''إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا

بَصِيرًا''أي:خبير بصير بمن يستحق الغنى، ومن يستحق الفقر ،وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا، والفقر عقوبة، عياذًا بالله من هذا وهذا. "[14]

2- الاستعاذة بالله من الفقر: وقد ورد في السنة ما كان يفعله النبي، ويعلِّمه أمته، وهو الاستعاذة بالله من الفقر ؛ لما له من أثر على النفس، والأسرة، والمجتمع، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ :كَانَ أَبِي يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ " فَكُنْتُ أَقُولُهُنَّ، فَقَالَ أَبِي : أَيْ بُنَيَّ عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا ؟ قُلْتُ : عَنْكَ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُهُنَّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ "[15] وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ:''اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ''.[16]

3- الحث على العمل، والكسب، والمشي في الأرض لكسب الرزق: قال تعالى:''هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ''[17] وقال تعالى''فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ''[18] وعَنْ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[19] وعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"[20]

4- إيجاب الزكاة في أموال الأغنياء : وقد جعل الله للفقراء نصيباً في الزكاة، ويُعطى الفقير تمليكاً، ويُعطى حتى يغتني، ويزول فقره،قال تعالى''إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ''[21]، وقال تعالى''وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ''[22]

5- الحث على الصدقات، والأوقاف، وكفالة الأيتام والأرامل: قال تعالى:''فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ''[23] وقال تعالى''وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ''[24] وقال تعالى وقوله سبحانه وتعالى:''وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا''[25] عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنْ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ".[26] عَنْ سَهْل بن سَعْد قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا – وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا –"[27] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَار"[28].

6- تحريم الربا والقمار، والغش في البيع: قال تعالى''يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا

تُظْلَمُونَ''[29] وقال تعالى''يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ''[30] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي" [31] وهذه الأمور من شأن وجودها وانتشارها بين الناس أن تأخذ أموال الناس بالباطل، وقد يفقد الناس أموالهم كلها بسببها، مما يكرس للفقر بكل ألوانه على المجتمع ، فيولد الحقد والكراهية بينهم ، لذا جاءت النصوص البينة بتحريمها.

7- الحث على إعانة المحتاج، والوقوف بجانب الضعيف: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[32] وعن ابن عباس ما، أن رسول الله قال :ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره" [33]

وعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَدْرَكَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَمَعَهُ حِمَالُ لَحْمٍ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرِمْنَا إِلَى اللَّحْمِ فَاشْتَرَيْتُ بِدِرْهَمٍ لَحْمًا !! فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا يُرِيدُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَطْوِيَ بَطْنَهُ عَنْ جَارِهِ أَوْ ابْنِ عَمِّهِ ؟!! أَيْنَ تَذْهَبُ عَنْكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ : أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا"[34].

8- الاقتصاد والبُعد عن الانغماس في مظاهر الترف : ومن رحمته تعالى بالناس أنه لم يرد بسط الرزق لهم جميعاً،لأنه يفضي إلى المفسدة [35]، قال تعالى''وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِير''[36]، ولقد هلكت أمم وزالت دول بسبب انغماسهم في الترف والشهوات، قال تعالى''وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً''[37]

لقد تناول المشرع الإسلامي مسألة الفقر، فرسم لها الخطوط العريضة واعتمد فيها على الأسس الرصينة، ليخفف بذلك الضغط عن الطبقات الضعيفة، بأن جعل لهم حقا في أموال الأغنياء، ويتمثل هذا الحق بجعل الزكاة والخمس الواجبة والنفقات التطوعية، وبتطبيق هذا القانون لم يبق فقير يعاني ما يخلفه الفقر من مصاعب وحرمان.

فالإسلام يقول: أعط الفقير والمستحق ما تسد به حاجته من الطعام واللباس والسكن وغيرها، وأعطه من الزكاة حتى تغنيه، وأعطه حتى يصير مكفي المؤونة لمدة سنة، وأعطه حتى يأكل منه ويشرب ويكتسي ويتزوج ويحج ويتصدق ويسدد دينه، وأعطه حتى يوسع على عياله في طعامهم وكسوتهم حتى يلعقهم بالناس.

والاسلام عندما يقوم بهذه الحملة الإعلامية الواسعة لموضوع الانفاق من خلال الآيات والأخبار الدالة على التشجيع إلى الانفاق، وكذلك التأنيب، أو حتى الترهيب على عدم الانفاق، يهدف من هذا كله إلى حث المسلمين على التسابق إليه وإسراع الخطى نحوه، انه لا يقصد من وراء ذلك اعطاء الفقير المال وانعاشه مادياً، وتخليصه من ويلات الفقر فحسب، بل انه يرنو إلى أن يجعل من هذه العملية قضية اصلاحية لكلا الطرفين، المعطي والفقير.

المعطي: ليهذب نفسه ويصقلها ويروضها على فعل الخير والشعور بأن ما أعطاه الله من مال ليس له فقط، بل له وللآخرين عبر رصيده وتملكه، فهو يريد من صاحب المال ان يبقى دائماً بجانب الآخرين يتحسس آلامهم ويعيش مشكلاتهم، كما لو كانت قد حلت بأسرته وعائلته ، أما الفقير فليفهم بأن هذا الاهتمام به ليس لسد جوعه، وان يملأ ما في بطنه من فراغ فقط، بل ليشعره بأنه لم يُترك في هذه الحياة وحيداً يعاني وحده الأنواء والهزات التي تعاكس طموحه في العيش في هذه الحياة، بل هناك من يقف إلى جانبه، ويمد له يد التعاون والعطف لينجيه مما هو فيه ويلقي به على ساحل العز والكرامة والمجد.

والذي يفهم من مجموعة التعاليم الإسلامية التي جاءت بصدد تحسين الوضع الاقتصادي للأمة ، هو اقتلاع آفة الفقر من أوساطهم ، ليتعايشوا متراحمين متعاونين ، تسود بينهم روح الألفة والمحبة والعطاء والإيثار .

أخلاقيات الحضارة الغربية في ميدان الاقتصاد ومساهمتها في غرس بؤر الفقر:" إنّ الميدان الاقتصادي هو من أخطر ميادين المدنية الغربية ، إن لم يكن أخطرها على الإطلاق ، لما له من أثر على مختلف ميادين الحياة الإنسانية ، لأنه يعني بكل وضوح هيمنة النمط الاقتصادي الغربي بكل نظرياته وسلوكياته على شعوب الأرض وأممها ، وهو ما عبّر عنه بعض منظري فكر العولمة بقوله : نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة ، العولمة هي الأمركة ، والولايات المتحدة قوة مجنونة ، نحن قوة ثورية خطيرة ، وأولئك الذين يخشوننا على حق ، إنّ صندوق النقد قطة أليفة بالمقارنة مع العولمة ، في الماضي كان الكبير يأكل الصغير، أما الآن فالسريع يأكل البطيء [(38)].

ويؤكد النورسي أن الحضارة الغربية رسخت العديد من مساوئها الأخلاقية في المجال الاقتصادي ، ويُرجع لها السبب في تكبيل أغلال المسلمين ، وأنها صارت سمّا زعافا للإنسانية بدلا من أن تكون لها ترياقاً شافياً، إذ ألقت ثمانين بالمائة من البشر في شقاء، لتعيش عشرة بالمائة في سعادة مزيفة ، وتعيش العشرة الباقية في حيرة بين هؤلاء وهؤلاء ، وتتجمع الأرباح التجارية بأيدي أقلية ظالمة "[(39)] لأن مبدأ العدالة منتف تماماً من نظمها الاقتصادية ، ومن أخلاقياتها تجاه بني الإنسان ، فتجمع الأرباح في أيدي ثلة من الناس بسبب الربا ، الذي يمثل " إيدز" الاقتصاد ، لهو دليل قاطع على تجرّد الحضارة الغربية عن أي أساس أخلاقي،ولعل اصدق تمثيل لذلك ما نقرؤه من إحصائيات حول التفاوت الكبير ، والفجوة الواسعة بين الأغنياء والفقراء في العالم، بل وترسيخها للفقر في كل بلد استعمرته وقامت بنهبه وسرقة ثرواته وخيراته وتركت من احتلتهم فقراء ، وما أثبتته الاحصائيات يؤكد أن الاستعمار الغربي ترك الهند وبه أكثر من ٣٥٠ مليون فقير، ثم الصين بها ١٠٥ مليون فقير،وبنغلاديش يقطن بها 93,5 مليون فقير ، والبرازيل٤٢،٥مليون فقير،واندونيسيا٤٨مليون فقير، ونيجيريا٤٦،٥مليون فقير، وفيتنام ٣٨ مليون فقير ، والفلبين٣٥،٥مليون فقير، وباكستان ٣٥ مليون فقير،وإثيوبيا ٣٠ مليون فقير، وهذه الدول تُصنف بين أكبر عشر دول فقراً على مستوى العالم.

إن من تأثيرات السياسة الاقتصادية الغربية وأخلاقياتها ، ما ظهر لنا بوضوح وجلاء ، من أن أشخاصاً يملكون سلطة عابرة لكل الحدود ، وهم أولئك الذين يملكون الثروات الهائلة ، إذْ إن أغنى أفراد العالم هم حوالي(٦) مليون إنسان ، ارتفعت ثرواتهم إلى (١٦) ترليون دولار ، وفي العالم (٣٥٨) مليارديرا ، رِبْحُهم يعادل دخل (٤٥%) من سكان العالم ، و(٢٠%) من كبار أغنياء العالم يقتسمون (٨٠%) من الإنتاج العالمي [40] هذا في الوقت الذي تُسجل فيه يومياً شهادات وفاة للآلاف من البشر – وخاصة في العالم الإسلامي – ويظلل على صفحات الخرائط الجغرافية مواقع دول بأكملها تعاني المجاعة والجفاف والتصحر والفقر ، وهناك دول أخرى تعلن عنها منظمة الغذاء العالمي لا تجد طعاماً لأفرادها ، هذا في الوقت ذاته تجد جمعيات حماية الحيوان والرفق بها في أوروبا تهتم بالكلاب والقطط ، وتحث المواطنين أصحاب الحضارة الغربية على عدم تعذيبهم ، وتنصحهم بتخلية لحم الدجاج من العظم ، ثم طهيه بطريقة كذا قبل تقديمه لهم .

ولا ننكر أن الدول الغربية تقدم الدعم لدول العالم الثالث المتخلف والفقير في صورتين :

- دعم عن طريق صندوق النقد الدولي ، أو البنك الدولي ، أو منظمة التجارة العالمية ، وذلك لسلب سيادة العالم المقهور فقراً – دول العالم الثالث – وفرض ما تريده من قرارات وسياسات .
- دعم العالم الثالث بالفتنة ، وتمزيق وحدة الصف وبث التخوين ، ومده بالسلاح لقتل بعضهم البعض، ثم تسليم الأرض وما تبقى عليها من بضعة بشر ، تحت مظلة دعوى حفظ السلام والأمن العالميين.

إنّ الإسراف ، وعدم القناعة ، وأكل الحرام ، والتعامل بالربا ، وغسيل الأموال ، التي تم حصدها من لعب القمار ومتاجرة المخدرات والرقيق الأبيض ، يتنافى حتى مع الحكمة الإلهية ، وأن الاقتصاد والقناعة تنسجم مع الحكمة الإلهية [41]

ومن أجل الحصول على المال ، وبعد الحصول عليه ، تم إطلاق العنان للشهوات كما يقول النورسي : " إن المدنية الحديثة قد أطلقت العنان لشهوات النفس وحظوظها غير آبهة بما يعرف بالاقتصاد الذي هو العزة والكرم بعينه ، بينما الخسة والذل هما حقيقة ما يقوم به المسرفون المبذرون من سخاء ظاهري "[42]

علتين ودوائين : إن أُس أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة ، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً ، وهما:

الكلمة الأولى: إن شبعتُ ، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع.

الكلمة الثانية: اكتسبْ أنت ، لآكل أنا ، واتعبْ أنت لأستريح أنا .. نعم ، انه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع ، إلاّ بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام ، أي بين الأغنياء والفقراء ، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام ، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.

فالآن،إن الكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد ، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والحسد والصراع ، فسُلبت البشرية الراحة والأمان لعصور خلت كما هو في هذا العصر، حيث ظهرت حوادث أوروبا الجسام بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال كما لا يخفى على أحد ، فالمدنية بكل جمعياتها الخيرية ومؤسساتها الأخلاقية ، وبكل وسائل نظامها وانضباطها الصارم عجزت عن أن تصلح بين تينك الطبقتين من البشر ، كما عجزت عن أن تضمد جرحي الحياة البشرية الغائرَين.

أما القرآن الكريم ، فإنه يقلع الكلمة الأولى من جذورها ، ويداويها بوجوب الزكاة ''وآتوا الزكاة''[43]

ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ، ويداويها بحرمة الربا''واحلّ الله البيع وحرّم الربا''[44]

نعم ، إن الآيات القرآنية تقف على باب العالم قائلة للربا: الدخول ممنوع .

وتأمر البشرية : أوصدوا أبواب الربا لتنسد أمامكم أبواب الحروب ، وتحذّر تلاميذ القرآن المؤمنين من الدخول فيها " [45].

إن أوروبا بحضارتها لا ترى إلا نفسها ، ولا يعنيها إلا مصالحها ، وقد أجاد النورسي حين شخّص بلاء البشرية الذي تسببت فيه الحضارة الغربية ، وأمراضها التي كانت سبباً فيما آلت إليه من انحطاط وتردي ، وبالتالي اضطرابات خطيرة ، وأرْجَعَ كل ذلك البلاء الذي أحدثته القوى الغربية المتحكمة والمؤثرة إلى الكلمتين السابقتين ، واتخذت دستور " الصراع " الناشئ فقط لدى بعض الظلمة والوحوش الكاسرة من جراء سوء استعمال فطرتهم ، ورسخوا حاكماً مهيمناً على الموجودات كافة ، فقررت ببلاهة متناهية : إن الحياة جدال وصراع "[46].

إن الكلمة الأولى الغدارة النهمة الشنعاء ، هي التي زلزلت العالم الإنساني ، فأشرف على الخراب، والكلمة الثانية الظالمة الحريصة الشوهاء ، هي التي هارت بترقيات البشر فأوشك أن تنهار به في نار الهرج والمرج"[47]

انه الاسترقاق بعينه ، أو صورة من صوره المقنّنة ، وهو ما تمارسه مؤسسات العولمة الاقتصادية على تنوّعها، فينتهي الأمر بالانصياع لها على مستوى الدول ... فلا سيادة ، وعلى مستوى الأفراد ، فلا إنسانية ، ولا كرامة ، وهذا الذي نراه من الآليات الاقتصادية التي تسخّر اليد العاملة الرخيصة ، تستعبدها ساعات عمل أطول، بأجر زهيد، متجاهلة الحقوق الطبيعية للعامل، بل الحقوق الإنسانية لهذا العامل.

وصدق النورسي فيما قال :" إن الإنسان كما لا يرضى أن يكون أسيراً ، لا يرضى أن يكون أجيراً "[48] أي ذلك الأجير الذي تستعبده قوى العولمة الغربية ، التي تملك المال والسلاح في الأرض من مشرقها إلى مغربها ، من غير قيد ولا شرط ، والتي تغزو المجتمعات الفقيرة المعدمة ، تستغل حاجتها ، لتأخذ الإنتاج فتبيعُه بعشرة أضعاف ما أخذته.

ولعل العلتين السابقتين هما محرك جميع أنواع السيئات والأخلاق الاقتصادية الدنيئة ومنبعها ولا يُنتِجان ويفرزان إلا ما يمكن أن نطلق عليه " دوران الأفكار والأشخاص في فلك الأشياء " وعصب هذا الدوران هو المال، والتجسيد العملي لهذا الدوران هو تمركز شهوات الحياة ومتعها في محور نظام القيم السائدة،وتكريس المقدرات الفكرية والبشرية لجلب المال،ولتوفير هذه الشهوات والمتع ، ونسيان ما عداها من قضايا النشأة والحياة

والمصير،وشيوع صنمية المال وعبدُ الدينار،إذ أن المال في نظرهم هو الوسيلة الموصلة إلى نعيم الدنيا وشهواتها ، وعبدً الدينار يَنصبُ من المال صنماً يتقرب به لمالكيه بالعبادة.

كما أن العلتين يبرزان مدى فهم النورسي ووعيه بخطر تولد نزعتين يتنافيان مع كل القيم الإيمانية، وهما: نزعة الاستعلاء والطغيان ، ونزعة الأنانية وحب الذات، وهما لا يستقيمان ولا يلتقيان مع المرجعية القرآنية والإيمانية للنورسي.

والتعامل الربوي الذي ارتكزت عليه الحضارة الغربية في تعاملاتها الاقتصادية أثبت فشله ،ولعل ما نشاهده من صراخ الغربيين بسبب انهيار الاقتصاد العالمي وإعلان العديد من البنوك والمؤسسات المالية الكبرى إفلاسها بسبب المعاملات المالية الربوية والمشبوهة بغسيل الأموال ،يؤكد صدق ما أقره الإسلام وحضارته في النظام الاقتصادي ، ودعا إلى تطبيقه جميع الخبراء الاقتصاديين الغربيين للخروج من هذا المأزق المالي الخانق ، بل ودعت إليه دول كبرى كفرنسا ، ودعت لتصفير سعر الفائدة ، أي إلغاء المعاملات الربوية كما أقر الإسلام بتحريمه.

ولعل ما حدث يؤكد قرب تحقيق نبوءة النورسي بظهور المدنية الإسلامية ، حيث قال : " لما كانت مدنية أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى ، بل على الهوس والهوى وعلى الحسد والتحكم ، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن ، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية ، وهذا دليل مؤشر قوي على قرب انهيارها ، وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا الإسلامية التي ستكون لها الغلبة عن قريب "[(49)]

التوازن في الكون ، وأثره في التوازن الاقتصادي العام للبشرية : يتحدث الإمام النورسي عن التوازن الدقيق في الكون والكائنات ، من خلال التأسيس والربط بالأسماء الحسنى ، ثم يتدرج بهذا الحديث ويربطه بالتوازن الاقتصادي المطلوب للإنسان في حياته ومعاشه ، فيقول : إن ما يحدث ضمن هذه الموجودات التي لا يحصرها العدّ من تحولات، وما يلجُ فيها وما يخرج منها ، لا يمكن أن يكون إلاّ بعملية وزنٍ وَكَيْلٍ ، وميزان مَن يرى أنحاء الوجود كلها في آن واحد ، ومن تجري الموجوداتُ جميعُها أمامَ نظر مراقبته في كل حين ، ذلكم الواحد الأحد سبحانه ، وإلاّ فلو كانت الأسباب الساعية إلى اختلال التوازن سائبة ، أو مفوضة إلى المصادفة العشواء ، أو القوة العمياء ، أو الطبيعة المظلمة البلهاء ، لكانت بويضات سمكةٍ واحدة ، التي تزيد على الألوف تخل بتلك الموازنة ، بل بذيرات زهرةٍ واحدة –كالخشخاش – التي تزيد على العشرين ألف ، تخل بها، ناهيك عن تدفق العناصر الجارية كالسيل ، والانقلابات الهائلة ، والتحولات الضخمة التي تحدث في أرجاء الكون ، كل منها لو كان سائباً لكان قميناً أن يخل بتلك الموازنة الدقيقة المنصوبة بين الموجودات ، ويفسد التوازن الكامل بين أجزاء الكائنات خلال سنة واحدة ، بل خلال يوم واحد ، ولكنت ترى العالم وقد حلّ فيه الهرجُ والمرج وتعرّض للاضطرابات والفساد.

فالبحار تمتلئ بالأنقاض والجثث وتتعفن ، والهواء يتسمم بالغازات المضرة الخانقة ، ويفسد ، والأرض تصبح مزبلة ومسلخة ، وتغدو مستنقعاً آسناً لا تطاق فيه الحياة ، فان شئت فأنعم النظر، في الموجودات كلها، ابتداء من حجيرات الجسم إلى الكريات الحمراء والبيضاء في الدم، ومن تحولات الذرات إلى التناسب والانسجام بين أجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريفها ، إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها ، ومن تولدات الحيوانات

والنباتات ووفياتها إلى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع ، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم ، إلى تبدل الموت والحياة ، ومن تصادم النور والظلام ، إلى تعارض الحرارة والبرودة ، وما شابهها من أمور، كي ترى أن الكل: يوزَن ويُقدَّر بميزان خارق الحساسية ، وان الجميع يُكتال بمكيال غاية في الدقة ، بحيث يعجز عقلُ الإنسان أن يرى إسرافاً حقيقياً في مكان ، وعبثاً في جزء ، بل يلمس علمُ الإنسان ويشاهد أكملَ نظامٍ وأتقنَه في كل شيء ، فيحاول أن يُرِيَه ، ويرى أروَع توازنٍ وأبدعه في كل موجود فيسعى لإبرازه ، فما العلوم التي توصَّل إليها الإنسان إلاّ ترجمة لذلك النظام البديع وتعبير عن ذلك التوازن الرائع.

فتأمل في الموازنة الرائعة بين الشمس والكواكب السيارة الاثنتى عشرة التي كل منها مختلفة عن الأخرى، إلا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على الله سبحانه الذي هو " العدل القدير " ؟ ثم تأمل في حجيرات جسم كائن حي ، وفي أوعية الدم ، وفي الكريات السابحة في الدم ، وفي ذرات تلك الكريات ، تجد من الموازنة الخارقة البديعة ما يثبت لك إثباتاً قاطعاً ، أنه لا تحصل هذه الموازنة الرائعة ، ولا إدارتها الشاملة ، ولا تربيتها الحكيمة إلاّ بميزان حساسٍ ، وبقانونٍ نافذ وبنظام صارم للخالق الواحد الأحد " العدل الحكيم " الذي بيده ناصية كل شيء ، أيها الإنسان المسرف الظالم الوسخ ،اعلم : أن الاقتصاد والطهر والعدالة سنن إلهية جارية في الكون، ودساتير إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها ، لا يفلت منها شيء إلاّ أنت أيها الشقي ، وأنت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السنن الشاملة تلقى النفرة منها والغضب عليك ، وأنت تستحقها، علامَ تستند وتثير غضبَ الموجودات كلها عليك ، فتقترف الظلم والإسراف ولا تكترث للموازنة والنظافة ؟ نعم ، إن الحكمة العامة المهيمنة في الكون ، والتي هي تجلٍ أعظم لاسم " الحكيم " إنما تدور حول محور الاقتصاد وعدم الإسراف ، بل تأمر بالاقتصاد ، وان العدالة العامة الجارية في الكون ، النابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل " إنما تدير موازنة عموم الأشياء ، وتأمر البشرية بإقامة العدل .

وان ذكر الميزان أربع مرات في " سورة الرحمن " إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب ، وبيان لأهمية الميزان البالغة ، ولقيمته العظمى في الكون ، وذلك في قوله تعالى''والسماء رفَعها وَوَضَع الميزان * ألاَّ تَطْغَوا في الميزان * وَأقِيمُوا الوزْنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِروا الميزانَ''[50] نعم ، فكما لا إسراف في شيء ، فلا ظلم كذلك ظلماً حقيقياً في شيء ، ولا بخسَ في الميزان قط ، بل إن التطهير والطهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم " القدوس" يعرض الموجودات بأبهى صورها ، وأبدع زينتها ، فلا ترى ثمة قذارة في موجود ، ولا تجد قبحاً أصيلاً في شيء ، ما لم تمسّه يد البشر الوسخة.

فاعلم من هذا: أن " العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية ، وما أشدها عراقة وأصالة ، وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون ، وكيف أنها مدّت جذوراً عميقة في أغوار الكون ، فأحاطته بعرىً وثيقة لا انفصام لها ، ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنعٌ كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به ، وتشويه صورته "[51] .

التوازن الاقتصادي من ناحية العرض والطلب : تناول الإمام النورسي في رسالة الاقتصاد التوازن الاقتصادي العام من ناحية جانبيه الهامين (52) :

جانب العرض : ويتمثل في استغلال مصادر الثروة الاقتصادية ، بإثارة الهمم والسعي والعمل والكد ، تحقيقاً لقوله تعالى''وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى''(53)

جانب الطلب : ويتمثل في ترشيد الاستهلاك ، أي الإقلال من الطلب الاستهلاكي الترفي وعدم الإسراف ، امتثالاً لقوله تعالى'' يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ''(54)

الرشد الاستهلاكي يحقق الربح المادي والمعنوي : يتحدث النورسي عن الأثر الإيجابي الكبير الذي يحققه الرشد الاستهلاكي والقناعة على الفرد والمجتمع ، فيقول : إن الخالق الرحيم سبحانه يطلب من البشرية شكراً وحمداً إزاء ما أغدق عليها من النعم والآلاء ، إلاّ أن الإسراف منافٍ للشكر ، واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة ، بينما الاقتصاد توقيرٌ مربح إزاء النعمة ،أجل إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي ، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان،وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار، وهو مدار صحة الجسد كالحِمية ، وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذلّ الاستجداء المعنوي ، وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم والآلاء من لذة ، وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثنايا نعمٍ تبدو غير لذيذة ، ولكون الإسراف يخالف الحِكَم المذكورة آنفاً ، باتت عواقبه وخيمة. (55)

الاقتصاد والقناعة كفيلان لعدم الاحتياج للمعونات والقروض : إن المقتصد لا يعاني فاقة العائلة وعوزها ، كما هو مفهوم الحديث الشريف " لا يعول من اقتصد " أجل هناك من الدلائل القاطعة التي لا يحصرها العدّ ، بأن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة ، وأساس متين للعيش الأفضل أذكر منها ما رأيته في نفسي ، وبشهادة الذين عاونوني في خدمتي وصادقوني بإخلاص فأقول: لقد حصلتُ أحياناً ، وحصل أصدقائي على عشرة أضعاف من البركة بسبب الاقتصاد ، حتى انه قبل تسع سنوات ، عندما أصرّ عليّ قسم من رؤساء العشائر المنفيين معي إلى " بوردور " على قبول زكاتهم ،كي يحولوا بيني وبين وقوعي في الذلة والحاجة ، لقلة ما كانت عندي من النقود ، فقلت لأولئك الرؤساء الأثرياء: برغم أن نقودي قليلة جداً ، إلاّ أنني أملك الاقتصاد ، وقد تعودت على القناعة ، فأنا أغنى منكم بكثير ، فرفضتُ تكليفهم المتكرر الملح ، ومن الجدير بالملاحظة : أن قسماً من أولئك الذين عرضوا عليّ زكاتهم ، قد غلبهم الدَّين بعد سنتين ، لعدم التزامهم بالاقتصاد ، إلاّ أن تلك النقود الضئيلة قد كفتني – ولله الحمد – ببركة الاقتصاد إلى ما بعد سبع سنوات ، فلم يُرَق مني ماء الوجه ، ولم يدفعني لعرض حاجتي إلى الناس ، ولم يفسد عليّ ما اتخذته دستوراً لحياتي وهو " الاستغناء عن الناس " نعم إن من لا يقتصد، مدعوّ للسقوط في مهاوي الذلّة ، ومعرض للانزلاق إلى الاستجداء والهوان معنىً "(56)

الاقتصار على الحاجات الضرورية : إن المال الذي يستعمل في الإسراف في زماننا هذا ،لهو مال غالٍ وباهظ جداً، حيث تدفع أحياناً الكرامة والشرف ثمناً ورشوة له، بل قد تُسلب المقدسات الدينية، ثم يُعطى

نقوداً منحوسة مشؤومة ، أي يقبض بضعة قروش من نقود مادية ، على حساب مئات الليرات من النقود المعنوية، بينما لو اقتصر الإنسان على الحاجات الضرورية واختصرها ، وحصر همّه فيها،فسيجد رزقاً يكفل عيشه من حيث لا يحتسب،وذلك بمضمون الآية الكريمة:''إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين''[57] وأن صراحة الآية الكريمة : ''وما من دآبة في الأرض إلاّ على الله رزقها''[58] تتعهد بذلك تعهداً قاطعاً، نعم، إن الرزق قسمان:

القسم الأول: وهو الرزق الحقيقي الذي تتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم هذه الآية الكريمة، يستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري مهما كانت الأحوال ،إن لم يتدخل سوء اختياره ، دون أن يضطر إلى فداء دينه ، ولا التضحية بشرفه وعزته.

القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يسيء استعماله لا يستطيع أن يتخلّى عن الحاجات غير الضرورية، التي غدت ضرورية عنده ، نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد ، وثمن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ، ولاسيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد يتقاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفاً، راضياً بالذل ، بل قد يصل به حد السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين وضيعين، لا بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس الممحوق بالتضحية بمقدساته الدينية ، التي هي نور حياته الخالدة ، ثم إن الألم الذي ينتاب ذوي الوجدان من حيث العاطفة الإنسانية – بما يرونه من آلام يقاسيها المحتاجون البائسون في هذا الزمان الذي خيّم عليه الفقر والحاجة – يشوّب لذتّهم التي يحصلونها بأموال غير مشروعة، وتزداد مرارتها إن كانت لهم ضمائر، إنه ينبغي في هذا الزمان العجيب ، الاكتفاء بحدّ الضرورة في الأموال المريبة، لأنه حسب قاعدة " الضرورة تقدر بقدرها " يمكن أن يؤخذ باضطرارٍ من المال الحرام حدَّ الضرورة ، وليس أكثر من ذلك، وليس للمضطر أن يأكل من الميتة إلى حدّ الشبع، بل له إن يأكل بمقدار ما يحول بينه وبين الموت وكذا لا يؤكل الطعام بشراهة أمام مائة من الجائعين.

نورد هنا حادثة واقعية ، للدلالة على كون الاقتصاد سبب العزة والكمال : أقام "حاتم الطائي" المشهور بكرمه وسخائه ،ضيافة عظيمة ذات يوم ،وأغدق هدايا ثمينة على ضيوفه ، ثم خرج للتجوال في الصحراء، فرأى شيخاً فقيراً يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً من الحطب والكلأ والشوك ، والدم يسيل من بعض جسمه ، فخاطبه قائلاً: أيها الشيخ، إن حاتماً الطائي يقيم اليوم ضيافة كريمة ،ويوزع هدايا ثمينة، بادرْ إليه لعلك تنال منه أموالاً أضعاف أضعاف ما تناله من هذا الحمل ، قال له ذلك الشيخ المقتصد : سأحمل حملي هذا بعزة نفسي وعرق جبيني ، ولا أرضى أن أقع تحت طائل منّة حاتم الطائي.

ولما سُئل حاتم الطائي يوماً : مَن من الناس وجدتَهم اعزَّ منك وأكرم ؟ قال : ذلك الشيخ المقتصد الذي لقيته في المفازة ذات يوم، لقد رأيته حقاً اعزّ مني وأكرم "[59]

ضوابط الاعتدال وحدُ الإشباع : إن من كمال كرم الله سبحانه وتعالى ، أنه يُذيقُ لذّة نِعمه لأفقر الناس ، كما يذيقها أغناهم ، فالفقير يستشعر اللذة ويتذوقها كالسلطان ، نعم إن اللذة التي ينالها فقير من كسرة

خبز أسود يابس بسبب الجوع والاقتصاد ، تفوق ما يناله السلطان أو الثري من أكله الحلوى الفاخرة بالملل وعدم الشهية النابعين من الإسراف.

وبناءاً على ذلك : فإننا نفترض الآن أمامنا لقمتان ، لقمة منها من مادة مغذية —كالجبن والبيض مثلاً— يقدر ثمنها بقرش واحد ، واللقمة الأخرى حلوى من نوع فاخر ، يقدر ثمنها بعشرة قروش ، فهاتان اللقمتان متساويتان قبل دخولهما الفم ، ولا فرق بينهما ، وهما متساويتان كذلك من حيث إنماء الجسم وتغذيته بعد دخولهما الفم ونزولهما عبر البلعوم ، بل قد يغذي الجبن الذي هو بقرش واحد تغذية أفضل ، وتنمية أقوى ، من اللقمة الأخرى ، إذ ليس هناك من فرق ، إلا ملاطفة القوة الذائقة في الفم ، التي لا تستغرق سوى نصف دقيقة ، فليقدر إذن مدى الإسراف ، ويوازن مدى التفاهة في صرف عشرة قروش بدلاً من قرش واحد في سبيل الحصول على لذة تستغرق نصف دقيقة "[60]

يوضح النورسي من خلال ما عَبر به — بطريقة غير مباشرة — عن المنفعة الحدية الناتجة من استهلاك السلعة ، والألم الحدي الناتج عن الإنفاق ، وعلى الرغم من عدم بلورته في صورة مصطلحات اقتصادية صرفه ، إلا أنه يوازي ما يدور في فلك النظريات الاقتصادية الحديثة ، وإن اختلف الأسلوب والتعبير "[61] ولعل سردنا لبعض المأثورات التي سجلها النورسي بعيداً عن الرسالة المخصصة للاقتصاد ، سوف يؤكد صدق توضيحنا [62]

– لقمةٌ بفلسٍ واحد ، وأخرى بعشرة فلوس – مثلاً – كلتاهما متساوية قبل دخولهما الفم ، وبعد مرورهما من الحلقوم ، مع فارق واحد هو تلذذ الفم بها لعدة ثوانٍ، لذا فإن صرف عشرة فلوس بدلاً من فلس واحد إرضاءً لحاسة الذوق الموظفة بالتفتيش والحراسة أسفه أنواع الإسراف.

– كلما نادت اللذائذ ، ينبغي الإجابة بـ "كأنني أكلت " فالذي جعل هذا دستوراً له ، كان بوسعه أن يأكل مسجداً مسمىً بـ "كأنني أكلت "[63] فلم يأكل .

فإذا كان بوسع واحد أن يبني مسجداً من ضبط شهواته ، ومن التزامه بحد الكفاف ، فإنه بوسع الأمة الإسلامية بأسرها أن تبني مجدها ورفعتها بترشيد استهلاكها ، وتوجيه مدخراتها إلى ما فيه منفعتها ، ويحقق لها رقيها وتقدمها.

– لم يكن أكثر المسلمين في السابق جائعين ، فكان الترفّه جائز الاختيار، أما الآن فهم جائعون فلا اختيار في التلذذ ، إذ أن معيشة السواد الأعظم ، وغالبية المسلمين بسيطة ، فينبغي الاقتداء بهم في الطعام الكفاف البسيط، وهذا هو الأفضل بألف مرة من الانسياق وراء أقلية مسرفة ، أو ثلة من السفهاء في ترفهم في الطعام .

لعل هذه الكلمات تُعبر عما تعانيه الكثير من بلاد العالم الإسلامي من فقر ومجاعات وتبعية اقتصادية ، في حين نجد بعض البلاد لديها تخمة من الترف والتبذير والإسراف .

الإسراف والاقتصاد في الميزان الأخلاقي:[64] ومن العجب حقاً أن يجرؤ بعض المسرفين والمبذّرين على اتهام المقتصدين بالخسّة ، حاشَ لله ، بل الاقتصاد هو العزة والكرم بعينه ، بينما الخسة والذلة هما حقيقة ما يقوم به المسرفون والمبذرون من سخاء ظاهري ، هناك بون شاسع ، وفرق هائل بين الاقتصاد والخسة ، إذ كما أن التواضع ، الذي هو من الأخلاق المحمودة ، يخالف معنىَ التذللَ ، الذي هو من الأخلاق المذمومة ، مع أنه

يشابهه صورة ، وكما أن الوقار الذي هو من الخصال الحميدة ، يخالف معنىً التكبّر ، الذي هو من الأخلاق السيئة ، مع أنه يشابهه صورة ، فكذا الحال في الاقتصاد ، الذي هو من الأخلاق النبوية السامية بل هو من المحاور التي يدور عليها نظام الحكمة الإلهية المهيمن على الكون ، لا علاقة له أبداً بالخسة ، التي هي مزيج من السفالة والبخل والجشع والحرص ، بل ليست هناك من رابطة بينهما قطعاً ، إلاّ ذلك التشابه الظاهري ، وإليكم هذا الحدث المؤيد لهذه الحقيقة : دخل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهو اكبر أبناء الفاروق الأعظم، خليفة رسول الله وأحد العبادلة السبعة المشهورين ، ومن البارزين بين علماء الصحابة الأجلاء ، دخل هذا الصحابي الجليل يوماً في مناقشة حادة لدى تعامله في السوق ، على شيء لا يساوي قرشاً واحداً ، حفاظاً على الاقتصاد وصوناً للأمانة والاستقامة ، اللتين تدور عليهما التجارة، في هذه الأثناء رآه صحابي آخر ، فظنّ فيه شيئاً من خسّة فاستعظمها منه ، إذ كيف يصدر هذا الأمر من ابن أمير المؤمنين وخليفة الأرض ، فتبعه إلى بيته ليفهم شيئاً من أحواله ، فوجد أنه قضى بعض الوقت مع فقير عند الباب ، وتبادلا حديثاً في لطف ومودة ، ثم خرج من الباب الثاني وتجاذب أطراف الحديث مع فقير آخر هناك ، أثار هذا الأمر لهفة ذلك الصحابي ، فأسرع إلى الفقيرين للاستفسار منهما : هلاّ تفهماني ماذا فعل ابن عمر حينما وقف معكما ؟ لقد أعطى كلاً منا قطعة ذهب ، فراعه الأمر ، وقال شدهاً : يا سبحان الله ، ما أعجب هذا الأمر، انه يخوض في السوق في نقاش شديد لأجل قرش واحد ، ثم ها هو ذا يغدق في بيته بمئات أضعافه على محتاجَين اثنين عن رضاً دون أن يشعر به أحد ، فسار نحو ابن عمر رضي الله عنهما ليسأله : أيها الإمام : ألا تحل لي معضلتي هذه ؟ لقد فعلتَ في السوق كذا وكذا ، وفي البيت كذا وكذا ؟ فردّ عليه قائلاً : إن ما حدث في السوق ، هو نتيجة الاقتصاد والحصافة ، فعلتُه صوناً للأمانة وحفظاً للصدق ،اللذين هما أساس المبايعة وروحها ، وهو ليس بخسّةٍ ولا ببخل ، وان ما بدر مني في البيت نابع من رأفة القلب ورقّته ، ومن سمو الروح واكتمالها ، فلا ذاك خسّة ، ولا هذا إسراف .. ، وإشارةً إلى هذا السرّ قال الإمام الأعظم " أبو حنيفة النعمان لا إسراف في الخير ،كما لا خير في الإسراف " أي كما لا إسراف في الخير والإحسان لمن يستحقه كذلك لا خير في الإسراف قط".

نتائج الإسراف الوخيمة على اقتصاد الأمة الإسلامية وحضارتها:

إن الإسراف ينتج الحرص ، والحرص يوَلد ثلاث نتائج:

أولاها: عدم القناعة : وعدم القناعة هذا يُثني الشوقَ عن السعي وعن العمل ، بما يبثّ في نفس الحريص من الشكوى بدلاً من الشكر ، قاذفاً به إلى أحضان الكسل ، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال [65] ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه من مال غير مشروع ، فيُهدر في هذه السبيل عزتَه بل كرامته.

النتيجة الثانية للحرص: الخيبة والخسران : إذ يفوت مقصود الحريص ويتعرض للاستثقال ويُحرم من التيسير والمعاونة ، حتى يكون مصداق القول المشهور:" الحريصُ خائب خاسر"

إن تأثير الحرص والقناعة،يجري في عالم الأحياء على وفق دستور شامل،وسنّة مطردة،كما أن حصول اليهود على أرزاقهم كفافاً بطرق غير مشروعة ، ممزوجاً بالذل والمسكنة ، بسبب حرصهم وتعاملهم بالربا،وإتباعهم أساليب المكر والخداع ، وحصول البدويين المتحلين بالقناعة على رزقهم الكافي وعيشهم العيش الكريم العزيز،يؤيد دعوانا أيضاً تأييداً كاملاً.

كما أن تردّي كثير من العلماء والأدباء[66] بما يمنحهم ذكاؤهم ودهاؤهم من الحرص في فقر مدقع وعيش كفاف، وغناء أكثر الأغبياء العاجزين وإثرائهم ، لما لهم من حالة فطرية قنوعة، ليثبت إثباتاً قاطعاً : أن الرزق الحلال يأتي حسب العجز والافتقار ، لا بالاقتدار والاختيار ، بل هو يتناسب تناسباً عكسياً مع الاقتدار والاختيار ، ذلك أن أرزاق الأطفال تتضائل وتبتعد ، ويصعب الوصول إليها كلما ازدادوا اختياراً وإرادةً واقتداراً ، نعم ، إن القناعة كنز للعيش الهنيء الرغيد ومبعث الراحة في الحياة ، بينما الحرص معدن الخسران والسفالة ، كما يتبين ذلك من الحديث الشريف: " القناعة كنز لا يفنى "[67]

النتيجة الثالثة : أن الحرص يتلف الإخلاص ، ويفسد العمل الأخروي ؛ لأنه لو وُجد حرص في مؤمن تقي ، لرغب في توجه الناس وإقبالهم إليه ، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يبلغ الإخلاص التام قطعاً ، ولا يمكنه الحصول عليه ، فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة.

محصل الكلام : أن الإسراف ينتج عدم القناعة،أي الطمع،أما الطمع فيُخبت وهج الشوق والتطلع إلى العمل،ويقذف بالإنسان إلى التقاعس والكسل،ويفتح أمامه أبواب الشكوى والحسرة في حياته،حتى ليجعله يئن دوماً تحت مضض الشكوى والسأم،كما أنه يفسد إخلاصه،ويفتح دونه باباً للرياء والتصنع،فيكسر عزته،ويريه طريق الاستجداء والاستخذاء .

أما الاقتصاد : فإنه يثمر القناعة ، والقناعة تنتج العزة ، استناداً إلى الحديث الشريف :" عزّ مَن قنع ، وذلّ مَن طمع "كما انه يشحذ الشوق بالسعي والعمل ويحث عليهما ، ويسوق سوقاً إلى الكدّ وبذل الجهد فيهما ؛ لأنه إذا ما سعى المرء في يوم ما وتقاضى أجره مساءً ،فسيسعى في اليوم التالي له بسر القناعة التي توافرت لديه ، أما المسرف : فانه لا يسعى في يومه الثاني لعدم قناعته ، وحتى إذا سعى ، فإنه يسعى دون شوق ، وهكذا فان القناعة المستفيضة من الاقتصاد ، تفتح باب الشكر وتوصد باب الشكوى ، فيظل الإنسان في شكر وحمدٍ مدى حياته وبالقناعة لا يتلفت إلى توجه الناس إليه لاستغنائه عنهم ، فينفتح أمامه باب الإخلاص، وينغلق باب الرياء "[68]

الآثار السلبية التي يتسبب فيها الإسراف بتبديد الموارد والثروات : يتحدث النورسي كيف أن الإسراف في الموارد والثروات ، وعدم استغلالها الاستغلال الأمثل ، يسبب كارثة اقتصادية فادحة ، وخسائر جسيمة ، مما ينتج عنه تأزم اقتصادي لدى الدولة والأفراد ، فيقول : ولقد شاهدت الأضرار الجسيمة والخسائر الفادحة التي تسفر عن الإسراف وعدم الاقتصاد ، شاهدتها متجسدة في نطاق واسع ممتد ، وهي كما يأتي : جئت إلى مدينة مباركة – قبل تسع سنوات –كان الموسم شتاءً ، فلم أتمكن من رؤية منابع الثروة وجوانب الإنتاج في تلك المدينة ، قال لي مُفتيها رحمه الله : إن أهالينا فقراء مساكين ، أعاد قوله هذا مراراً ، أثّر فيّ هذا القول تأثيراً

بالغاً ، مما أجاش عطفي ، فبت استرحم وأتأ لم لأهالي تلك المدينة فيما يقرب من ست سنوات وبعد ثماني سنوات عدتُ إليها ، وهي في أجواء الصيف ، وأجلت نظري في بساتينها، فتذكرت قول المفتي رحمه الله ، فقلت متعجباً: سبحان الله ، إن محاصيل هذه البساتين وغلاتها تفوق حاجة المدينة بأسرها كثيراً ، وكان حرياً بأهاليها أن يكونوا أثرياء جداً ، بقيت في حيرة من هذا الأمر ، ولكن أدركت بحقيقة لم تخدعني عنها المظاهر ، فهي حقيقة استرشد بها في إدراك الحقائق ، وهي : أن البركة قد رفعت من هذه المدينة بسبب الإسراف وعدم الاقتصاد ، مما حدا بالمفتي رحمه الله إلى القول: إن أهالينا فقراء ومساكين ، برغم هذا القدر الواسع من منابع الثروة وكنوز الموارد ، نعم، إنه ثابت بالتجربة ، وبالرجوع إلى وقائع لا تحد ، بأن دفعَ الزكاة ، والأخذ بالاقتصاد ، سببان للبركة والاستزادة ، بينما الإسراف ومنع الزكاة ، يرفعان البركة .

ولقد فسّر " ابن سينا " وهو أفلاطون فلاسفة المسلمين ، وشيخ الأطباء وأستاذ الفلاسفة ، فسّر هذه الآية الكريمة '' وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا''من زاوية نظر الطب ، فقط بالأبيات الآتية :

جمعتُ الطبَّ في بيتين جَمعــاً   وحُسن القولِ في قِصَر الكلام

فقلّل إن أكلتَ وبعد أكل   تَجنّب ، والشفاءُ في الانهضام

وليس على النفوس أشدُّ حالاً   من إدخال الطعام على الطعام " [69]

كيفية النهوض الاقتصادي : يوضح الإمام النورسي أن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر تتمركز في الرقي المادي،وأن وسائل وأدوات النهوض الحضاري تتطلب السعي والعمل،وتحصيل المال بالكسب الحلال،مع الاقتصاد والقناعة،أما عكس ذلك فهي وسائل للتخلف والفقر،ونستطيع أن نقف على أهم الأسباب التي أدت للتدهور الاقتصادي من خلال ما ذكره النورسي في إجابته على أحد الأسئلة،وبزوالها يتحقق النهوض والتقدم،حيث سئل:كان المسلمون هم الأغنياء ، وكان أولئك — أي غير المسلمين – هم الفقراء،إلاّ أن الآية انعكست الآن،فما الحكمة ؟ الجواب : هناك سببان لهذا حسب علمي:

الأول: الفتور في السعي وعدم الرغبة ، خلافاً لما هو مستفاد من الأمر الربّاني:''وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى''[70] وانطفاء جذوة شوق الكسب المستفاد من الأمر النبوي بأن "الكاسب حبيب الله " وذلك نتيجة إيحاءات بعض الرجال ، وتلقينات قسم من الوعاظ الجاهلين ، أولئك الذين لم يدركوا أن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي ، ولم يتفهموا قيمة الدنيا من حيث هي مزرعة الآخرة ، ولم يميّزوا بين متطلبات القرون الوسطى والقرون الأخرى ، ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما " القناعة في التحصيل والكسب " وهي المذمومة ، والقناعة في المحصول والأجرة ، وهي الممدوحة ، ولم يتبينوا البون الشاسع بين " التواكل "الذي هو عنوان الكسل ، و " التوكل " الذي هو صَدَفَة الإخلاص الحقيقي ، فالأول : هو تكاسل في ترتيب المقدمات ، وهو في حكم التمرد على النظام القائم بين الأسباب ، التي هي مقتضى مشيئة الله تعالى .

والآخر : هو توكل إيماني في ترتُّب النتائج ، وهو من مقتضيات الإسلام ، والذي يقود صاحبه إلى التوفيق ، حتى في النتائج ، شريطة عدم التدخل في التقديرات الإلهية .

فالتَبَسَ عليهم كلا الأمرين ، ولم يتفرسوا سرّ " أمتّي.. أمتّي " ولا يفهمون حكمة " خير الناس أنفعهم للناس " فهؤلاء هم الذين حطموا ذلك الميل ، وأطفئوا ذلك الشوق .

والسبب الثاني:هو سلوكنا في المعيشة مسلكاً غير طبيعي، مسلكاً يوافق الكسل ويلائمه ، ويداعب الغرور ويربت عليه،وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية،لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا

سؤال : كيف ؟ الجواب : إن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوي إليها هو "الصناعة، الزراعة، التجارة " أما الطريق غير الطبيعي ، فهو الوظيفة الحكومية والأمارة بأنواعها ، وعندي أن الذين جعلوا مدار معيشتهم " الأمارة " – وان تسمّت بأي اسم كان– فهم في زمرة الشحاذين العاجزين المتسولين ، ومن زمرة المخادعين الحيالين ، وفي نظري أن الذي ينخرط في سلك الوظيفة أو الأمارة ، فليدخل إليها لأجل الحمية والخدمة للأمة ،وإلاّ لو دخلها للمعيشة والمنفعة فحسب ، فلا يقوم إلاّ بضرب من التسوّل "[71]

أهمية تقسيم العمل في زيادة الإنتاج والعرض الكلي : يتحدث النورسي عن أهمية التكتل الاقتصادي والوحدة بين الدول الإسلامية ، من خلال تبادل الخبرات واستغلال الثروات ، لما في ذلك من فائدة كبرى يعود نفعها على أبناء الحضارة الإسلامية والإنسانية ، حيث ترتفع الدخول لدى الأفراد تبعاً لارتفاع النسبة الإنتاجية ، التي أثمرتها توحيد المساعي وتوزيع الأعمال ، فيقول في هذا الصدد : اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي ، فوقع على احدهم إحضار النفط ، وعلى الآخر الفتيلة ، وعلى الثالث زجاجة المصباح ، وعلى الرابع المصباح نفسه ، وعلى الأخير علبة الكبريت ، فعندما أشعلوا المصباح ، أصبح كل منهم مالكاً لمصباح كامل، فلو كان لكل من أولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط ، إذن لأصبح منعكساً في مرآته مصباح كامل – مع ما في الغرفة – من دون تجزؤ أو نقص .

وقام عشرة من صناعي ابر الخياطة بعملهم، كل على انفراد، فكانت النتيجة ثلاث ابر فقط لكل منهم في اليوم الواحد ، ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة " توحيد المساعي وتوزيع الأعمال " فأتى احدهم بالحديد ، والأخر بالنار ، وقام الثالث بثقب الإبرة ، والأخر إدخالها النار والأخر بدأ يحدها ، وهكذا ، فلم يذهب وقت أحد سدى ، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأنجزه بسرعة ، لأنه عمل جزئي بسيط أولاً ، ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانياً ، وحينما وزعوا حصيلة جهودهم ، رأوا إن نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة إبرة ، بدلاً من ثلاث إبر ، فذهبت هذه الحادثة أنشودة يترنم بها أهل الصناعة والحرف ، الذين يدعون إلى توحيد المساعي وتوزيع الأعمال " [72].

الزكاة والربا وأثرهم في الجانب الاقتصادي : لقد أسهب النورسي في حديثه عن الزكاة والربا ليس فقط من الناحية الاقتصادية ، بل وأفاض في حديثه عنهم وعن أثرهم في جميع مناحي الجوانب الحضارية ، وخاصة الاجتماعية منها ، باعتبار أن الزكاة هو الأداة الأولى للمصالحة بين جميع الطبقات الاجتماعية [73] ومن خلالها يتم معالجة العديد من الأمراض الاجتماعية للحيلولة دون فتح السبيل أمام التسول والسرقة والفوضى ، وذلك بسد حاجات الفقراء الجائعين الذين لا يرأف بحالهم قسم من الأغنياء[74]

أما أثر الزكاة في الناحية العلمية : فإنه يحث على دفع الزكاة من أجل استئصال الجهل ومحو الأمية والتقليد ، وذلك بإنشاء المدارس والجامعات التي تُدرس فيها العلوم الدينية والعلوم الحديثة من أجل نهضة الأمة علمياً ومعرفياً [75]

أما أثر الزكاة في الجانب السياسي : فإن النورسي تنبه إلى أهم الأسلحة الاستعمارية التي يسلطها أهل الضلالة على الشعوب لفرض سياساتهم ، وهو سلاح التجويع لهدم المرتكزات العقدية ، ولإغراق أهل الإيمان الضعفاء الجائعين في متطلبات هموم العيش ، حتى ينسوهم مشاعرهم الدينية [76] وكثيراً ما يستخدمون المال لتنصيرهم ، لذا يرى النورسي أن دفع الزكاة عامل مهم لقطع الطريق أمام تلك المخططات الاستعمارية والتنصيرية.

أما أثر الزكاة في الجانب الاقتصادي : فإن النورسي يرى أن الزكاة هي قطب الأعمال المالية ، وهي قنطرة الإسلام ، وبها التعاون والتساند بين أهله ، وهي سبب للبركة والاستزادة [77] " وأن الصدقات والنذور هم أبناء عمومة الزكاة[78].

أما أثر الربا في جميع الجوانب الحضارية : فالنورسي يرى أن أثره عكس ما تم ذكره تماماً .

ويرى النورسي " أن المدنية بكل جمعياتها الخيرية ، وأنظمتها الصارمة ، ونظمها الجبارة ، ومؤسساتها التربوية الأخلاقية ، لم تستطع أن تعارض مسألتين من القرآن الكريم ، بل انهارت أمامهما وهي في قوله تعالى''وآتوا الزكاة''[79] و''واحلّ الله البيع وحرّم الربا''[80]

إن أُس أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني ، ومعدن جميع القلاقل والفساد وأصلها، ومحرك ومنبع جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنيئة والرذيلة ، إنما كلمتان اثنتان ، أو جملتان فقط :

الكلمة الأولى: " إن شبعتُ ، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع ".

الكلمة الثانية: " اكتسبْ أنتَ ، لآكل أنا ، واتعبْ أنت لأستريح أنا ".

نعم ، إنه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع ، إلاّ بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء ، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام ، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص ، فالآن : إن الكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد ، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والحسد والصراع ، فسُلبت البشرية الراحة والأمان لعصور خلت ، كما هو في هذا العصر ، حيث ظهرت حوادث أوربا الجسام بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال كما لا يخفى على أحد ، والقرآن الكريم وهو الدواء الشافي ، يستأصل شأفة السم القاتل في الكلمة الأولى بـ: الزكاة ، التي هي ركن من أركان الإسلام ، ويجتث عرق شجرة الزقوم المندرجة في الكلمة الثانية بـ : تحريم الربا ، فإن كانت البشرية تريد صلاحاً وحياة كريمة ، فعليها أن تفرض الزكاة ، وترفع الربا "[81]

الخاتمة بأهم نتائج البحث:

– إن الدارس لجميع المذاهب الاقتصادية ، يجد أن المذاهب الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية – الاستعمارية – على حدٍ سواء لم تُنتج إلا طبقتين : طبقة المترفين .. وطبقة البائسين ،لأنها قائمة على غرس الأنانية والدوافع

الذاتية ، أما المذهب الاقتصادي الإسلامي فهو على عكس ذلك تماماً في المفهوم والتطبيق، حيث أن المفاهيم الاقتصادية في الإسلام تستمد نظمها وتطبيقاتها من النص الموحى ، وهذا كفيل بأن يربي في كل فرد شعوراً عميقاً بالمسؤولية تجاه المجتمع ومصالحه ، ويفرض عليه أن يتنازل عن شيء من ثمار أعماله وجهوده وأمواله الخاصة في سبيل المجتمع وفي سبيل الآخرين، ولا يفعل ذلك لأنه سرق الآخرين وقد ثاروا عليه لاسترداد حقوقهم الخاصة أو ليكفر عن ذنبة فقط مما سرقه ، بل لأنه يحس بأن ذلك جزء من واجبه، وتعبير عن القيم التي يؤمن بها ، وتقرباً إلى الله وتعبداً له .

- على أجهزة الدول الإسلامية — وخاصة المرئية والمسموعة والمقرؤة - نشر فضائل الانفاق لحث الأغنياء في البذل والعطاء، والعمل على مكافحة بؤر الفساد والفقر والاستبداد، ووقف نزيف إهدار الثروات، وهذا كفيل بتوفير الأمن والهدوء والاستقرار، حيث لا يمكن تصور حدوث التنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية بدون غرس ثقافة التكافل والتعاون،كما أن الديكتاتورية مرتع خصب لبروز الفقر والرذيلة.

- إن فكر الإمام النورسي يرسم ملامح نهضة اقتصادية شاملة ،ويجمد شرايين الفقر الذي مد جذوره في جسد الأمة ، ويحد من التضخم والاحتكار ، ويؤسس لكيفية تحسين الانتاج المحلي والتوزيع العادل للثروة واستغلالها في التصنيع المحلي بأيدي أبنائها ، مع الاكتفاء بالحياة المقتصدة والاعتدال في الاستهلاك، والتناسب والتقارب في العرض والطلب ، ومراعاة ضوابط الاعتدال وحد الاشباع ،وتحذيره من عواقب الاسراف الوخيمة والتعامل بالربا على واقع الأمة الاقتصادي ،وحرصه على تطبيق ركن الزكاة بين الغني المعطي والفقير الآخذ للحد من توغل الفقر في المجتمع المسلم.

هوامش:

(1) أنظر بتوسع ومنهجية / محمد الغزالي : الإسلام والأوضاع الاقتصادية ،نهضة مصر،**٢٠٠٥** م وأنظر/ عبد السميع المصري : مقومات الاقتصاد الإسلامي ،مكتبة وهبه **١٩٩٠** م بتصرف

(2) القصص: **٧٧**

(3) الإسراء: **٢٩**

(4) الجمعة: **١٠**

(5) الملك: **١٥**

(6) أنظر بتوسع ومنهجية / عبد السميع المصري : مقومات الاقتصاد الإسلامي ،مكتبة وهبه **١٩٩٠**،**ص١٢–٤٣** بتصرف

(7) أنظر بتوسع / أشرف عبد الرافع الدرفيلي : البُعد الإيماني في فلسفة الحضارة ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، **ص٢٨٩** وأنظر/ عبد السميع المصري : مقومات الاقتصاد الإسلامي، ص**٥٦ – ٧٤** بتصرف.

(8) الذاريات: **٥٨**

(9) هود: ٦

(10) الملك:٢١

(11) الإسراء: ٧٠

(12) حديث شريف رواه الإمام مسلم في صحيحه، حديث نمبر ٢٩٩٩

(13) الإسراء: ٣٠

(14) أنظر تفسير ابن كثير، ج5،ص٧١

(15) حديث شريف رواه النسائي وصححه الألباني، حديث نمبر١٣٤٧

(16) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه، حديث نمبر ٢٠٠٧،والإمام مسلم، حديث نمبر ٥٨٩

(17) الملك: ١٥

(18) الجمعة: ١٠

(19) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه، ١٩٦٦

(20) حديث شريف رواه الإمام البخاري، حديث نمبر ١٤٠٢

(21) التوبة: ٦٠

(22) المعارج:٢٤ – ٢٥

(23) التغابن: ١٦

(24) سبأ: ٣٩

(25) المزمل: ٢٠

(26) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه، حديث نمبر ١٣٤٧،والإمام مسلم، حديث نمبر ١٠١٦ واللفظ له .

(27) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه، حديث نمبر ٣٩٩٨، والإمام مسلم، حديث نمبر٢٩٨٣،من حديث أبي هريرة بلفظ قريب

(28) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه، حديث نمبر ٥٠٣٨، والإمام مسلم، حديث نمبر ٢٩٨٢

(29) البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩

(30) المائدة: ٩٠

(31) حديث شريف رواه الإمام مسلم في صحيحه، حديث نمبر ١٠٢

(32) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه، حديث نمبر ٥٦٢٥، والإمام مسلم، حديث نمبر٢٥٨٦

(33) حديث شريف رواه الإمام البيهقي في الشعب، حديث نمبر ٩٢٥١، وحسنه الالباني

(34) حديث شريف رواه الإمام مالك في موطئه، حديث نمبر١٧٤٢

(35) عمر بن علي الرازي، التفسير الكبير، ج٩ ، ص ٥٩٨

(36) الشورى: ٢٧

(37) الإسراء: ١٦

(38) د/ زياد خليل الدغامين:أخلاقيات العولمة وسبيل مواجهتها في فكر بديع الزمان النورسي، ص٦١، نسل، استانبول،تركيا،٢٠٠٢

(39) النورسي : الكلمات ، ٨٥٦

(40) د/ موسى السبيط : أخلاق العولمة في نظر الإسلام ، من أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور ، ص٤٤، نسل ، استانبول ، تركيا،٢٠٠٢م

(41) د/ زياد خليل،المرجع السابق، ص ٦٢

(42) المرجع السابق،ص٦٢

(43) البقرة: ٤٣

(44) البقرة: ٢٧٥

(45) النورسي، الكلمات ، ص ٤٦٦ – ٤٦٧

(46) المرجع السابق،ص ٦٣٢ بتصرف

(47) النورسي،إشارات الإعجاز ، ص ٥٤ وانظر/ زياد خليل،المرجع السابق ، ص ٦٣

(48) النورسي،المكتوبات ، ص ٦٠٥

(49) النورسي: صيقل الإسلام ، ص ٥٠١

(50) الرحمن: ٧ – ٩

(51) النورسي،اللمعات ، ص ٥٢٣ — ٥٢٦ بتصرف

(52) أنظر بتوسع،خديجة النبراوي،دور رسائل النور في يقظة الأمة ، ص ٣٣٦ – ٣٨١

(53) النجم: ٣٩

(54) الأعراف: ٣١

(55) النورسي،اللمعات ، ص ٢١١ – ٢١٢

(56) النورسي،المرجع السابق ، ص ٢١٥

(57) الذاريات: ٥٨

(58) هود: ٦

(59) النورسي،اللمعات ، ص٢١٥ – ٢٢٠ بتصرف

(60) النورسي،المرجع السابق، ص٢١٣ ، ٢١٧ بتصرف

(61) خديجة النبراوي،المرجع السابق، ص٣٤٧

(62) النورسي، الكلمات، ص ٨٩٦

(63) يقع هذا المسجد في حي السلطان محمد الفاتح باستانبول، ويقال أن باني هذا المسجد ادخر الأموال اللازمة لبنائه من خلال ضبط نفقاته الاستهلاكية بقوله : "كأنني أكلت" كلما رأى ما اشتهاه . مترجم رسائل النور

(64) النورسي : اللمعات ، ص ٢١٧،٢١٩–٢٢٠ بتصرف

(65) يؤكد النورسي أنه بسبب الابتعاد عن الاقتصاد والقناعة يكثر المستهلكون ، ويقل المستحصلون ، ويبدأ الجميع يشدون نظرهم إلى باب الحكومة ، وحينها تنتكس وتتناقص الصناعة والتجارة والزراعة ، التي هي محور الحياة الاجتماعية ومدارها ، وينهار المجتمع ويتدنى بدوره ، ويغدوا فقيراً معدماً ، اللمعات ص ٢٢٠

(66) سأل أنوشيروان حاكم إيران العادل،الحكيم بزرجمهر" لماذا يشاهد العلماء بأبواب الأمراء ولا يشاهد الأمراء بأبواب العلماء،والعلم يفوق الأمارة ؟ فأجاب : ذلك من علم العلماء وجهل الأمراء،أي أن الأمراء لا يعلون قدر العلم فلا يأتون أبواب العلماء لطلبه ، بينما العلماء يعلمون قدره فيطلبون قيمته بأواب الأمراء

(67) حديث شريف رواه الطبراني في الأوسط ، وأنظر ترجمته في، اللمعات،ص ٢٢٢

(68) النورسي،اللمعات، ص ٢٢٠–٢٢٢ بتصرف وأنظر،الملاحق،ص ٣٨٠–٣٨١

(69) النورسي،المرجع السابق،ص ٢٢٢–٢٢٣

(70) النجم: ٣٩

(71) النورسي،صيقل الإسلام ، ص ٣٠٢–٣٠٤ وأنظر لأهمية العمل والسعي للكسب ومعالجتهم للفقر وإزالته، اللمعات،ص ١٨٨–١٩٣

(72) النورسي،اللمعات،ص ٢٤٨–٢٤٩ بتصرف

(73) أنظر/ النورسي،المثنوي، ص١٥٨/ الملاحق،ص٣٧٨/إشارات الإعجاز،ص ٥٠–٥٥

(74) النورسي،إشارات الإعجاز، ص ٥٠–٥٣ بتصرف

(75) النورسي،سيرة ذاتية ، ص ٥٠٤ بتصرف وأنظر/ الكلمات،ص ٤٤٨،٤٧٣

(76) النورسي،الملاحق، ص ١٦١–١٦٢

(77) أنظر/ النورسي،اللمعات،ص٢٢٣،٢٢٧ /إشارات الإعجاز،ص ٥٠–٥٣/سيرة،ص٢١٢

(78) النورسي،صيقل الإسلام،ص٤١٦

(79) البقرة: ٤٣

(80) البقرة: ٢٧٥

(81) النورسي،الكلمات،ص٤٧٣ –٤٧٤،٥٦٧،٨٥١،٨٥٩ / سيرة ذاتية،ص ١٤٦